

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني

/ بالأعرج عبد الرحمن (*)

مقدمة:

يهتم هذا المقال بتتبع التاريخ الثقافي لمدينة تلمسان في العهد العثماني، والظاهر أن هذه الحقبة الزمنية من أغمض فترات التاريخ التلمساني، نظرا لندرة المصادر من جهة، وإتلاف الكثير منها أو بقاءه طي الكتمان. ومن خلال ما توفر لدينا من دراسات وكتب للطبقات والتراجم، قمنا بمحاولة استطلاع مظاهر الحياة الثقافية من خلال التعريف بالعوامل المؤثرة فيها، والمؤسسات التعليمية ومناهج التعليم، إضافة إلى أبرز الأعلام في مجال الفكر والثقافة.

وقبل الخوض في ذلك لا بد من التعرّيج على بعض الوقائع السياسية التي شهدتها المدينة قبيل وخلال العهد العثماني.

1 - إلحاق تلمسان بالحكم العثماني في الجزائر:

شهدت عاصمة الزيانيين عدة اضطرابات سياسية مع مطلع القرن 10 هـ/16م، فازداد التنافس بين أفراد البيت الحاكم، كما شهدت السواحل هجمات الإسبان الذين كانوا يلاحقون المهاجرين الأندلسيين الفارين من غرناطة منذ سقوطها سنة 1492م¹.

وفي خضم هذه الأحداث ظهر نشاط اثنين من البحارة العثمانيين بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، هما خير الدين بربروس وأخوه عروج مع مجموعة من مجاهدي البحر، حيث استنجد بهم سكان المدن الساحلية الجزائرية للتخلص من الخطر الإسباني فلبوا النداء دون تردد².

ولما تم تحرير مدينة تنس في جوان 1517م، على رأس جيش مكون من ألف جندي عثماني ووحدات من المهاجرين الأندلسيين، ضد حوالي 500 جندي إسباني، ثم مدينة دلس، حاول عروج تحرير مدينة تلمسان التي كانت تسودها الفوضى تحت حكم عميل الإسبان أبي حمو الثالث الذي استولى على العرش بعد إطاحته بأبي زيان، وتوجه نحو المدينة سالكا طريقا داخليا والتقى مع الجيش الزياني المكون من 6000 فارس و 3000 من المشاة وهزم الملك أبو حمو الثالث ودخل عروج تلمسان وعين أبا زيان ملكا عليها³.

لكن هذا الملك رفض لاحقا اتباع سياسة عروج فقرر هذا الأخير التخلص منه، ثم قام حاكم

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني / عبد الرحمن بالأعرج

وهران الاسباني بمساعدة أبي حمو الثالث للعودة إلى تلمسان فحاصرها، والتجأ عروج وجيشه إلى قلعة المشور، ثم توجه ناحية الغرب لكن الجيش أبي حمو ألحق به الهزيمة في موقعة المويلح قرب مغنية واستشهد عروج عن عمر 50 سنة وذلك في ماي 1518⁴.

واستمر الوضع في تقلب بتلمسان، وتولى الحكم أبو حمو محمد عبد الله الثاني سنة 1518 وحاول الوقوف محايدا بين الإسبان والعثمانيين لكنه لم يفلح⁵.

وبقيت المدينة في تجاذب بين هؤلاء وأولئك في ظروف ميزتها محاولة السعديين الاستيلاء عليها، حيث جهز الشريف محمد المهدي مؤسس الدولة السعدية بالمغرب الأقصى حملة بقيادة ابنه محمد الحران لفتح تلمسان والمغرب الأوسط سنة 1550م، وحاصرها لمدة تسعة أشهر ودخلها وأجلى عنها العثمانيين وامتد حكمه حتى وادي شلف، ثم جهز حسن بن خير الدين جيشا لقتالهم وتمكن الجزائريون من إرجاعهم وراء حدودهم بالمغرب الأقصى⁶.

ثم دخل الجيش العثماني تلمسان ونصب عليها الأمير الحسن عبد الله الثاني، وقرر الأتراك هذه المرة السيطرة الفعلية على المدينة وجعل سلطة الملك رمزية تحت رقابة حامية تركية مكونة من 1500 جندي، لكن طائفة الحضرم لم ترض بهذا الملك فقاموا بخلعه سنة 1554م، وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى إيالة الجزائر⁷.

وشهدت المدينة خلال الحكم العثمانيين عدة أحداث لعل أبرزها ثورة الكراغلة سنة 1738هـ وثورة درقاوة مطالع القرن 19م⁸.

2- الزخم الحضاري لمدينة تلمسان:

كانت تلمسان على مر عصورها الإسلامية منارة علمية و مركز إشعاع ثقافي في العالم الإسلامي عموما و في بلاد المغرب على وجه الخصوص، و قد برز دورها الثقافي خاصة في عهد الأدراسة والسليمانيين ثم المرابطين والموحدين إلى أن جاء عهد بني زيان وبني مرين حيث شهدت إنشاء الكثير من المؤسسات الثقافية والعلمية كالمساجد والمدارس والمكتبات.

هذا و كانت تلمسان تقع على الطريق الرابط بين فاس وتونس من جهة وبين البحر وحواض الصحراء من جهة أخرى ما جعلها ملتقى لكل الثقافات المشرقية والمغربية. ولو أن دورها هذا قد خفت في العهد العثماني نظرا لتنقل عاصمة الحكم إلى مدينة الجزائر إلا أنها احتفظت بكونها دار لكبار بيوتات العلم في البلاد الجزائرية.

3- الملامح العامة للحياة الثقافية بتلمسان:

يكاد يجمع المؤرخون المختصون في تاريخ الجزائر العثمانية على أن هذه الفترة كانت فترة ركود علمي، حيث فقدت كبرى الحواضر ومنها تلمسان مركزها وإشعاعها الثقافي التي كانت تتمتع به العصور السابقة خاصة الفترة الزيانية، لكن الملاحظ أن المدينة بقيت محافظة على نصيب من مكانتها العلمية نظرا لاستمرار مؤسساتها الثقافية في تأدية وظائفها وبروز مجموعة من العلماء، إضافة إلى الأندلسيين الذين كان لهم دور كبير في بعث الحركة الثقافية بمدينة تلمسان ابتداء من القرن 16م، حيث هاجر مجموعة كبيرة من العلماء والأسر العلمية بتراثهم وعلومهم فضلا عن تنشيطهم للحياة الاقتصادية والاجتماعية وإدخال نظم جديدة⁹.

ولا ينبغي أن نهمل دور بعض الحكام العثمانيين أمثال الباي محمد الكبير في الجانب العلمي والثقافي، حيث كانت له علاقة حسنة مع رجال العلم والثقافة، وأدخل مجموعة كبيرة من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان له عناية كبيرة بالمؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا¹⁰.

4- المؤسسات الثقافية والتعليمية:

إن ما ميز الحياة الثقافية في مدينة تلمسان هو الدور الكبير لمؤسساتها الثقافية والتعليمية، وكانت هذه المؤسسات تجمع بين الدور الديني والتربوي التعليمي، ولعل في مقدمتها المساجد التي بلغ عددها حوالي 50 مسجدا، كانت في معظمها صغيرة وكانت تعقد بها حلقات الدروس في العلوم الدينية، أما تحفيظ القرآن فكان يتم في الكتاتيب الملحقة بالمساجد، وأشهر مساجد المدينة قد تأسست في العهود الإسلامية الأولى وهي: مسجد أغادير¹¹، المسجد الكبير¹²، مسجد أبي الحسن التنسي¹³، مسجد أولاد الإمام¹⁴، مسجد إبراهيم المصمودي¹⁵، مسجد أبي مدين بالعباد¹⁶، مسجد سيدي الحلوي¹⁷.

وكانت هذه المساجد تقوم بدورها الديني والثقافي والاجتماعي، كما وجدت مساجد أخرى بالأحياء وعادة ما كانت تلحق بها الكتاتيب¹⁸ التي كانت مخصصة لتعليم الصبيان بعض المبادئ في الكتابة والقراءة وخاصة تحفيظ القرآن، وكانت عبارة عن غرف بسيطة أثاثها مكون من حصير، وكانت أدوات الكتابة عبارة عن لوح خشبي مصقول ودواة و قلم من القصب وإناء للمحو¹⁹.

وكان إنشاء هذه المؤسسات خاصا في الغالب أو كانت تبنى من قبل مجموعة من أولياء الصبيان، وخلال القرن 8-9هـ / 14-15م ازدهرت الكتاتيب من حيث التنظيم والمواد المدرسة،

وكان يشرف عليها مؤدبون ومقرئون²⁰. وقد استفادت مساجد المدينة من إصلاحات الباي محمد بن عثمان الكبير باي وهران وعنايته.

أما المدارس، فكان بتلمسان زهاء خمس مدارس عليا، إضافة إلى مدارس أخرى أقل شأنًا، وأشاد الحسن الوزان على الخصوص بعناية أهل تلمسان بتشبيد المدارس والإنفاق عليها، رغم أنه قد حكم على أن فئة العلماء كانت من أفقر فئات المجتمع الأربع²¹، والمعروف أن زيارة الوزان لتلمسان كانت عشية استقرار العثمانيين بالجزائر، ورغم قول بعضهم بأن تلك المدارس قد اندثرت من تلمسان فإن الفرنسيين قد وجدوا فيها بعد احتلالها خمسين مدرسة ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي والعالى وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة ابني الإمام، والمعروف أن الباي محمد الكبير هو الذي أعاد لمدرستي تلمسان أوقافها وجدها²². ومن هذه المدارس: مدرسة إبنى الإمام²³، المدرسة التاشفينية²⁴، مدرسة أبي مدين شعيب الغوث بالعباد²⁵، المدرسة اليعقوبية²⁶.

واللافت للنظر هو وجود مدارس خاصة بالجالية اليهودية المقيمة بالمدينة، حيث شكلت تلمسان أكبر منطقة لتجمع اليهود في الحواضر الجزائرية في العهد العثماني إضافة إلى الجزائر العاصمة، حتى أن أملاكهم في القيصرية بلغت 1500 محل تجاري، و كان لهم 17 معبدا، وابتداء من القرن 17م أصبح يهود الجزائر يتعلمون على أيدي أساتذتهم من تلمسان²⁷. وكانت لهم مدارس خاصة بهم، و كان التعليم فيها ينقسم إلى مرحلتين في المرحلة الأولى القراءة والمرحلة الثانية الكتابة والحساب وكانوا يكتبون التوراة وتاريخهم باللغة العبرية التي كانت منتشرة بينهم. كما أن الأسر اليهودية كانت ترسل أبناءها إلى الدول الأوربية لتعلم بقية العلوم²⁸.

وشكلت الزوايا إحدى المؤسسات الثقافية والاجتماعية والدينية الهامة²⁹، وكانت تابعة للطرق الصوفية وكان عددها في الغرب الجزائري أكثر انتشارا من المناطق الأخرى وذلك يرجع إلى استمرار الجهاد في الغرب إضافة إلى القرب من المغرب الأقصى مهد الزوايا والمرابطين.

لقد شكلت الزوايا مقر قيادة وتربية وتعليم كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة إضافة إلى كونها مقر نزول أبناء السبيل حيث نجد المأوى والمأكل كما لعبت في المجال الاجتماعي دورا هاما في التوسط لقضايا قضائية بين السكان. ولعبت دورا هاما على المستوى الأرياف في ظل غياب المدارس³⁰.

وكان تشرف على الزاوية شيخ، وهو الذي كان يتولى التعليم بها أو الإشراف على أساتذتها

وكان ساعده في إدارتها وكيل وعدد من المتطوعين. أما مواردها المالية فكانت من مداخل وغلوات الأوقاف التي كانت تتبعها، إضافة إلى الزكاة والهدايا والتبرعات.³¹

لقد وضعت الزوايا الكثيرة نظاما و لوائح لطلابها نذكر منها أن الزوايا كان لها سجل يقيّد فيه أسماء طلاب الزاوية، وأن الخدمة اليومية داخل الزوايا يقوم بها الطلاب بالتناوب، كما يتولى ناظر من ذرية مؤسس الزاوية الأحباس الموقوفة عليها، وكان المأوى في الزاوية وقف على الطلاب العزب، وكان لزاما على الطلبة احترام المقدم والوكيل، وأن من يهمل واجباته أو يخل بالنظام المعمول به يعاقب، كما كانت الزاوية تعد وجبتين من الطعام في الغذاء والعشاء. وكانت تحرص على ضرورة المحافظة على مواعيد الدروس وحضور الاجتماع الأسبوعي، كما تكفلت بتحديد العقوبات لكل نوع من أنواع الحوادث والمخالفات، وكان طلبتها يقومون برعي ماشية الزاوية وخدمة الأرض الموقوفة عليها، إضافة إلى قيامهم بجمع الأموال للزاوية من القبائل.³²

ويمكن القول بأن النظام الداخلي للزوايا لم يكن الهدف منه التنظيم فحسب، وإنما كان أيضا للتربية، وتهذيب الأخلاق وغرس الفضائل، وتدريب التلاميذ على الحياة العملية.³³

وأشهرت تلمسان بالزوايا التالية: الزاوية اليعقوبية، وزاوية سيدي أبي مدين بالعباد التي كانت تهتم بالتعليم واستقبال الطلبة الوافدين وكان لها عدة أوقاف مغلّة من البساتين والضياع، وزاوية سيدي الحلوي، وزاوية سيدي السنوسي.³⁴ إضافة إلى زاوية عين الحوت شمال تلمسان واشتهرت بكونها مهد السليمانيين أبناء عمومة الأدارسة وهم من الأشراف العلويين³⁵، واشتهرت بزوايتها التي نشأت خلال القرن 4هـ/10م، واهتمام بايات الغرب بها وبأوليائها³⁶.

ووجود هذه الزوايا دليل على وجود نشاط صوفي ملحوظ خلال العهد العثماني، حيث قام العثمانيون بتشجيع التصوف وعملوا على التقرب من رجال الزوايا رغبة منهم في دعم سلطاتهم.³⁷

وقد وقع في بداية دخول العثمانيين إلى تلمسان أن عارض رجال التصوف هذا التدخل في حين وقف بعضهم مؤيدا له، ومن أشهر المعارضين الشيخ أحمد بن ملوكة التلمساني الذي ورد ذكره في كتاب دوحه الناشر لابن عسكر « أن عروج عندما ارتكب مجموعة من الفظائع لما دخل المدينة ثم خرج إلى جبال بني سنان، فخاف أهل تلمسان من عودته واشتكوا لابن ملوكة ما وقع بهم فانقبض الشيخ وغضب وضرب الأرض بيده ودعا على عروج قاتلا: « اللهم لا تعده إلى تلمسان إن اتكالنا عليك» وأن الله قد استجاب الدعاء ومات عروج مقتولا»³⁸. كما

اشتهر الشيخ **للو التلمساني** الذي يقال أنه سخط على حاكم تلمسان حفيظ التركي وخرج من تلمسان³⁹.

وكان هناك مجموعة من المرابطين بالمدينة قد وقفوا موقف وسط من الحكم التركي، أي أنهم لم يعارضوهم لكن كانوا يتدخلون عندهم ويعظونهم، ومنهم الشيخ **سيدي العبدلي** الذي كان رجلا صالحا وكان يتوسط لسكان تلمسان إذا اشتكوا من تعسف الأتراك، وكان يذهب إلى القائد محمد بن سوري التركي في مقره ويعظه ويطلب منه إصلاح شؤون سكان تلمسان⁴⁰.

وكان التصوف مرتبنا بالزوايا التي أدت الدور الاجتماعي والتعليمي، وكانت هذه الزوايا تابعة لمجموعة من الطرق لعل أبرزها القادرية والدرقاوية⁴¹.

وتمت مدينة تلمسان بالإضافة إلى المساجد والمدارس والزوايا عددا هاما من المكتبات وذلك لتسهيل عملية التعليم، وكانت المكتبة تقع عادة بالمسجد أو المدرسة وقدرت بحوالي 20 مكتبة⁴²، وزاد رصيدها من الكتب بعدما حل الأندلسيون بالمدينة ناقلين معهم كتبهم⁴³.

لقد كانت معظم المؤسسات الثقافية مستقلة عن السلطة المركزية، وكانت عملية تمويلها وتسيير وظائفها تتم عن طريق الأوقاف الدينية، وكانت هذه الأحباس عبارة عن بنايات وأراضي وبساتين ومحلات حرفية وتجارية إضافة إلى المخازن والحمامات، وكان يديرها وكلاء معينون من طرف الداوي والباي، ولم تكن لهم مرتبات محددة بل كانوا يتقاضون مبالغ رمزية. كما كانوا يأخذون من المداخيل التي يشرفون عليها المبالغ اللازمة لمصاريفهم. وكانت مداخيل المؤسسات الوقفية توظف في دفع رواتب الأئمة وقراء الأحزاب والمؤذن وشراء الزرابي والفراش وثمان الترميمات وشراء الزيت للمصابيح.

وكان القاضي يشرف على إدارة ومراقبة هذه المصاريف بمساعدة كاتب وعشرة أشخاص من سكان المدينة⁴⁴.

5 - التعليم:

يعد التعليم من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافية والحركة العلمية، وفي الوقت نفسه مظهرا من مظاهر الازدهار الثقافي والعلمي، وكان يتم في المؤسسات التعليمية التي أنشئت في تلمسان، في الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وكان يمر عبر مراحل يتم فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف ثم التعمق في المسائل الفرعية⁴⁵، ويمكن تقسيمها إلى: الطور الابتدائي: حيث كان يلتحق فيه الأطفال بالكتاتيب لتعلم القراءة والكتابة ومبادئ

اللغة وحفظ القرآن، وكانت الأدوات الأساسية المستخدمة في هذه المرحلة تتمثل في الألواح الخشبية والأقلام القصبية والصلصال. وكان يقوم بعملية التدريس المؤدبون والطلبة والأئمة.

وكان التعليم يتم مرتين في اليوم، الأولى في الصباح والثانية بعد الظهر، وكان عدد التلاميذ في حجرة الدرس حوالي 15 تلميذاً. و كان التلاميذ يدفعون للمدرسين نصيباً من المال إضافة إلى بعض الهبات والهدايا التي كانت تمنح في المناسبات من طرف أولياء التلاميذ.

أما في الطور الثاني: فكان التلاميذ يتعلمون اللغة وفروعها كالنحو والصرف إضافة إلى علوم أخرى. في حين خصص الطور الثالث لتعليم العلوم الدينية المتمثلة في علم العقيدة وعلوم القرآن والفقه والحديث النبوي الشريف⁴⁶.

وما يمكن قوله عن التعليم خلال هذه المرحلة هو غلبة الطابع الديني عليه، أما العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء فكانت أقل شأنًا لكنها كانت موجودة لحاجة المجتمع إليها⁴⁷.

6- من أعلام الفكر والثقافة بتلمسان خلال العهد العثماني:

لم تخلو تلمسان من العلماء وأعلام الثقافة والتصوف في العهد العثماني، رغم التدهور الذي شمل المدينة، حيث انقلب بها الوضع من عاصمة لمملكة ومقر للملك والسلطان والحرف والصنائع والعلوم، إلى مجرد مدينة من مدن بايليك الغرب تسيطر عليها الحامية العثمانية.

وقد حافظت الأسر العلمية على مكانتها وإنتاجها العلمي، وبرز مجموعة من العلماء ذاع صيتهم بالمغرب والمشرق، والظاهر أن جلهم قد ولد ونشأ في تلمسان ثم انتقل منها إلى مدينة فاس التي كانت بمثابة العاصمة العلمية الجديدة للمغرب عامة، وحافظت على تألقها الثقافي خاصة خلال عهد السعديين، ومن أبرزهم نذكر:

- أبو العباس أحمد بن محمد العقباني : (أواخر ق 10 هـ، ق 16م)⁴⁸:

من بيت علم وفقه اشتهر بتولي أفراد أسرته القضاء لمدة تزيد على الثلاثة قرون من الزمن، وهو من فقهاء المالكية، كان مهتماً بعدة علوم من علوم عصره، ولد بتلمسان وبها تعلم ونشأ ثم انتقل إلى فاس، حيث جلس للتدريس بجامع القرويين. قال عنه صاحب دوحة الناشر: « توفي بفاس في آخر العشرة الثامنة، وسلسلة سلفه سلسلة العلم والفضل».

- محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (908هـ/981) (1573/1502م)⁴⁹:

من أكابر علماء عصره، مفتي تلمسان وفاس، ولد وتعلم ونشأ بتلمسان ثم رحل إلى فاس

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني / عبد الرحمن بالأعرج

سنة (958هـ) فنال مكانة مرموقة عند السعديين وولوه خطط الإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين، وقدم إلى سوس صحبة السلطان عبد الله الغالب السعدي عام (980هـ)، فأقام بها معه سنة قدم خلالها للقراء بالجامع الكبير بتارودنت معارف غزيرة مستندة إلى دلائل متينة، فأخذ عنه الكثير من طلبتها. كما طالت أيام رياسته العلمية بفاس وانتفع به الكثير من الناس⁵⁰.

- محمد بن شقرون التلمساني: (1503-1575) (908-983)⁵¹:

عرف في المغرب «بمالك الصغير» وهو دلالة على مكانته بين معاصريه، وإلى جانب علوم الفقه، اهتم بعلوم أخرى كانت سائدة في عصره مثل المنطق، والفرائض والبيان وغيرها، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، وولي الإفتاء بها ومنها رحل إلى فاس سنة 967هـ فنال مكانة مرموقة عند الغالب بالله السعدي، فنصب له كرسيًا للتدريس داخل قصره «وقلده الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب»، ولم يقتصر نشاطه العلمي على القصر الملكي بل تعداه ليشمل كثيرا من العلماء وطلبة العلم في المغرب إلى غاية وفاته بفاس.

- أبو العباس أحمد بن يعقوب العبادي تلمسان: توفي (980هـ/1572م)⁵²:

من أكابر علماء عصره، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى واستقر بفاس سنة 968هـ مع جماعة من علماء تلمسان بسبب فتنة وقعت بينهم وبين العثمانيين، فحضي بمكانة مرموقة لدى حكام المغرب، فتصدر للتدريس في فاس مدة من الزمن، ثم رجع إلى تلمسان وكان بها وفاته⁵³.

- أبو العباس أحمد بن يحيى المقرئ (986هـ-1041هـ/1578-1631م)⁵⁴:

مؤرخ وأديب عصره، محدث ومفسر ومتكلم، اشتهر في المغرب والمشرق. ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم ومنها انتقل إلى فاس سنة 1009هـ/1600م بحيث حضر مجلس علي بن عمران السملالي في جامع القرويين وناقشه في بعض مسائل الفقه الإسلامي، فاعترف له السملالي بالتفوق عليه وأقر له بقوه الحجة والبرهان والنباهة، ثم انتقل إلى مراكش في نفس السنة فعلم السلطان المنصور السعدي بمقدمته، فاستدعاه وقربه إليه وأكرمه، وربطت بينه وبين علماء المدينة علاقات علمية وودية، يذكرها هو نفسه في مؤلفاته.

وفي منتصف سنة (1010هـ/1601م) عاد إلى فاس ثم غادرها بعد بضعة أشهر إلى مسقط رأسه تلمسان. وفي أوائل سنة 1013هـ/1604م عاد إلى فاس ثانية، فأسندت إليه سنة 1022هـ خطة الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، وبقي بها نحو خمسة سنوات، أي حتى سنة

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني / عبد الرحمن بالأعرج
1027هـ التي قد تكون من أزهى سنوات أحمد المقرري عطاء وخدمة للعلم وأهله، أما الشق
الثاني من حياته (1618-1631م) فهو خاص بالمشرق.

- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني
كان حيا سنة 1605هـ⁵⁵:

لم تفدنا المصادر بالكثير عن حياته لكنه يذكر في البستان⁵⁶ قائلا : «كان والدي معلما
للصبيان ... و تخرج عليه أولاد كثيرون يحفظون كتاب الله العزيز ومن عادته رضي الله عنه
ختم القرآن في كل يوم»، ودرس بالجامع الأعظم عند أبي السادات⁵⁷ وقد تولى التدريس وإقراء
القران الكريم بوصية من والده، وقد تخرج على يده الكثير ممن يحفظون القرآن وصار
بعضهم علماء يدرسون العلم ومن آثاره: تحفة الأبرار وعار الأخبار في الوظائف والأذكار
المستحبة في الليل والنهار، فتح الجليل في أدوية العليل لعبد الرحمن السنوسي، كشف اللبس
والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد، تعليق مختصر على الرسالة في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها
. لكن هذه الكتب فقدت، وكتابه المتبقي هو البستان في ذكر أولياء و العلماء بتلمسان التي
قام بنشره المحقق العلامة الدكتور محمد بن شنب وتضمن 182 ترجمة لعلماء وأولياء المدينة،
واتبع فيه الترتيب الهجائي معتمدا على مجموعة من المصادر ذكرها في نهاية كتابه⁵⁸.

- محمد بن عبد الكريم المجاوي: (توفي 1208هـ-1267هـ)⁵⁹:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي الحسني ولد بتلمسان،
وحفظ القرآن الكريم على والده كما تلقى على يده علوم اللغة العربية ثم التحق بفاس وأخذ
عن علماء القرويين أمثال الشيخ حمدون بن الحاج السلمي، والحافظ الحجة الحاج الطيب ابن
كيران وغيرهم، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أسندت إليه وظيفة القضاء إلى مارسها بنزاهة
و كفاءة لمدة ربع قرن ، وكان خلالها يتولى التدريس، ثم عاد إلى فاس تارة أخرى ليشغل
بالتدريس بجامع القيروان مدة، ثم انتقل إلى طنجة وتولى قضائها القضاء وظل فيه إلى أن وفاه
اجله في 23 رجب 1267 هـ.

تخرج على يده علماء كانت لهم كلمتهم في الثقافة والفكر من أمثال: الشيخ صالح الشاوي،
محمد بن عبد الواحد بن سودة، والشيخ محمد العلوي قاضي فاس، والعلامة أحمد بن حسون
قاضي وزان. وله مجموعة من الخطب الدينية والشعرية⁶⁰.

سعيد بن عبد الله المنداسي:

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي أصلا التلمساني منشأ ودارا، قرأ بتلمسان على

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني / عبد الرحمن بالأعرج

علماء عصره ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، فأقام بفاس وزار مراكش واتصل بالسلطان مولاي إسماعيل العلوي ومدحه وبالغ في مدحه فأكرمه السلطان، ثم عاد إلى تلمسان وتوفي بها وقيل بسجلماسة وهو الأصح عام 1088هـ/1677م.

وكان المنداسي ينظم الشعر المعرب والملحون معا، وشعره الملحون قريب من الفصيح، واشتهر بقصيدته المعروفة بالعقيقة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي قام بشرحها الشيخ أبو راس الناصري بسبعة شروح أشهرها «الدرة الأنيقة في شرح العقيقة»⁶¹.

- محمد بن محمد عبد الرحمن التلمساني ت: 1193هـ/1779م:

نشأ بتلمسان وقرأ على علمائها، واعتنى بعلم التاريخ ومن تأليفه «الزهرة النائرة فيما أجرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة»، وصف فيها حملة الإفرنج على الجزائر في عهد خير الدين، وطبع هذا التأليف بالجزائر سنة 1841م⁶².

- القطب التلمساني:

لا نعلم شيئا عن حياته سوى ما ذكره عنه الشيخ محمد الحسين الأندلسي البليدي أصلا المصري المنشأ الذي هو من رجال القرن الثاني عشر الهجري في كتابه «المقولات العشر»، والظاهر أنه كان معاصرا للبليدي أو أقدم منه حيث أن هذا الأخير ينقل عنه⁶³.

- أحمد بن محمد بن هطال التلمساني:

هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد الشهير بابن هطال التلمساني تولى وظيفة كاتب ومستشار ومبعوث في المهمات الخارجية لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية، ولابنه عثمان بعد وفاة محمد الكبير، واستشهد في معركة وقعت بين الأتراك و ابن الشريف الدرقاوي عام 1219هـ/1804م بفطاسة الواقعة بين واد مينا وواد العبيد، وخلف رسالة تاريخية عنوانها «رحلة محمد الكبير» طبعت بالقاهرة عام 1969م.

الخاتمة:

يتضح لنا مما سبق أن مدينة تلمسان قد تم إلحاقها بالحكم العثماني منذ منتصف القرن 10هـ/16م، وبدأت منذ ذلك الحين تفقد رونقها وإشعاعها الفكري والثقافي بسبب سياسة العثمانيين القائمة على مراقبة العلماء وأعلام الفكر والثقافة، والذين كان معظمهم معارضا لحكمهم، وقد انتقل هذا الإشعاع إلى مدينة فاس المغربية التي كانت مقصد علماء تلمسان للدراسة والتدريس، أو لتولي الوظائف السلطانية بها، ولكن ذلك لم يمنع من وجود حركة علمية

لكن بوتيرة خافتة مما كانت عليه المدينة خلال العصر الوسيط. وبرز أعلام واصلوا مهمة حفظ العلوم وتلقيها عبر المؤسسات الثقافية والتعليمية، والتأليف والتصنيف.

الهوامش:

- 1 - أستاذ محاضر بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، عضو باحث في مخبر الدراسات الحضارية والفكرية جامعة تلمسان، مهتم بتاريخ وحضارة الجزائر، وتاريخ العلاقات بين المغرب والمشرق في العصر الوسيط.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 26.
- 2 - محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 228.
- 3 - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 374.
- 4 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 48.
- 5 - الطمار، المرجع السابق، ص 332.
- 6 - المرجع نفسه، ص 233 - 234.
- 7 - عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 388.
- 8 - بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تح: يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 302.
- 9 - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري في العهد العثماني، ص 461.
- 10 - بلروات بن عتو، «الإصلاح الثقافي للباي محمد الكبير بمدينة معسكر»، حولية المؤرخ، ع 4/3، 2005، ص 197.
- 11 - التنسي، تاريخ بن زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 125.
- 12 - Rachid Bourouiba, l'art religieux Musulman en Algérie, Sned, Alger, 1973, p. p. 71-72.
- 13 - رشيد بورويبة، الحياة الثقافية في العهد الزياني والمريني، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 496.
- 14 - المرجع نفسه، ص 497.
- 15 - هو ابراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ علومه على الأبي وغيره ثم نزل تلمسان ولازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية، وبعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفية، ثم انقطع للعبادة وللتدريس، ولما توفي دفن بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية، أنظر: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن شنب، نشر عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص ص 64-66.
- 16 - العباد: قرية صغيرة قرب تلمسان وهي مدفن القطب أبي مدين. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 24.
- 17 - هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان تولى قضاء اشبيلية في أواخر عهد الدولة الموحدية ثم فر من القضاء وأوبى تلمسان في زي المجانين. انظر: يحيى بن خلدون، بغية الرواد في

الحياة الثقافية بمدينة تلمسان خلال العهد العثماني / عبد الرحمن بالأعرج

128. ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1962، ص 127-
- 18 - هي جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة. حسن عزوزي، «التأليف في القراءات في المغرب والاندلس»، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 1993، ص 241.
- 19 - لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة، قسم لتاريخ ، جامعة تلمسان، 2005، ص 160.
- 20 - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 261.
- 21 - المصدر نفسه، ص 334.
- 22 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 274-275.
- 23 - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139.
- 24 - المصدر نفسه، ص 141.
- 25 - بالأعرج عبد الرحمن، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ جامعة تلمسان، 2008، ص 34.
- 26 - التنسي، المصدر السابق، ص ص 179-180.
- 27 - الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايليك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 1994، ص 159.
- 28 - شويتام، المرجع السابق، ص 484.
- 29 - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 171.
- 30 - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 171.
- 31 - مختار فيلاي الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي، باتنة (د.ت) ص ص 27-28.
- 32 - المرجع نفسه، ص ص 98-99.
- 33 - الشريف كمال دحومان الحسني، أشرف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع، دار الخلدونية، الجزائر، 2009، ص ص 98-99.
- 34 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2001، ص 149.
- 35 - عبد الرحيم بن منصور، عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، دار ابن خلدون للنشر، تلمسان، 2011، ص 10 و ما يليها.
- 36 - المرجع نفسه، ص 78.
- 37 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 466.
- 38 - المرجع نفسه، ص 232.
- 39 - المرجع نفسه، ص 468.
- 40 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 41 - فيلاي مختار، المرجع السابق، ص ص 35-53 - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002، ص 230.
- 42 - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 170.

- 43 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 286.
- 44 - الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 173.
- 45 - عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 38.
- 46 - أبو القاسم سعد الله، المرع السابق، هج1، ص 273.
- 47 - أبو القاسم سعد الله، ج2، ص 429.
- 48 - محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط3، تح: محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2003، ص111.
- 49 - ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970، ص 206.
- 50 - عادل نهويص، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971، ص ص 77-78.
- 51 - ابن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص 215.
- 52 - أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 491. ابن مريم، المصدر سابق، ص 261.
- 53 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 65.
- 54 - الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 44.
- 55 - ابن مريم، البستان، مقدمة التحقيق.
- 56 - نفس المصدر، ص 268.
- 57 - نفسه ، 269.
- 58 - محمد مرتاض، من أعلام تلمسان مقارنة تاريخية فنية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص 307.
- 59 - الحفناوي ، المرجع السابق، ص 456-463.
- 60 - محمد مرتاض ، المرجع السابق، ص 316-317.
- 61 - الحفناوي، المصدر السابق، ج، ص
- 62 - محمد مرتاض، المرجع السابق، ص 526.
- 63 - المرجع نفسه ، ص ص 527-528.